ابْنُ رُشْدٍ

الشَّخْصِيَّةُ العِلْمِيَّةُ المسْلِمَةُ مُتَعَدِّدَةُ التَّخَصُّصَاتِ

أَنَا أَبُو الوَلِيْدِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رُشْدٍ، وُلِدْتُ فِي قُرْطُبَةَ فِي الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ أَبْرِيْلَ سَنَةَ 1126م. وَقَدْ صُنِّفْتُ ضِمْنَ كِبَارِ الفَلاسِفَةِ فِي الحضَارَةِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ؛ وَمِنْ أَهَمِّ الشَّخْصِيَّاتِ العِلْمِيَّةِ المسْلِمَةِ مُتَعَدِّدَةِ التَّخَصُّصَاتِ؛ فَأَنَا فَيْلَسُوْفٌ، وَفَقِيْهٌ، وَطَبِيْبٌ، وَفَلَكِيٌّ، وَقَاضٍ، وَفِيزْيَائِيٌّ عَرَبِيٌّ مُسْلِمٌ أَنْدَلُسِيٌّ.

نَشَأْتُ فِي أُسْرَةٍ بَارِزَةٍ فِي الأَنْدَلُسِ مَارَسَتِ الزَّعَامَةَ الفِقْهِيَّةَ وَالفَتْوَى؛ إِذْ كَانَ جَدِّي المعْرُوْفُ بِابْنِ رُشْدٍ الجدِّ شَيْخَ المالِكِيَّةِ، وَإِمَامَ جَامِعِ قُرْطُبَةَ، وَقَاضِي الجَمَاعَةِ، وَمِنْ كِبَارِ مُسْتَشَارِي أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ المرَابِطِيَّةِ، وَكَانَ وَالِدِي أَبُو القَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الوَلِيْدِ فَقِيْهًا فِي جَامِعِ قُرْطُبَةَ، وَقَاضِيًا، وَلَهُ شَرْحٌ عَلى سُنَنِ النَّسَائِيِّ، وَتَفْسِيْرٌ لِلقُرْآنِ فِي أَسْفَارٍ.

أَمَّا أَنَا فَقَدْ عُرِفْتُ بِابْنِ رُشْدِ الحفِيْدِ، وَذَلِكَ لِلتَّفْرِيْقِ بَيْنِي وَبَيْنَ جَدِّي ابْنِ رُشْدٍ إِمَامِ المالِكِيَّةِ، فَقَدْ تَعَلَّمْتُ وَحَفِظْتُ كِتَابَ المُوَطَّأِ لِلإِمَامِ مَالِكٍ عَلى يَدَي أَبِي، كَمَا دَرَسْتُ عَلى أَيْدِي عَدِيْدٍ مِنَ الفُقَهَاءِ؛ وَمِنْ أَبْرَزِهِمْ: أَبُو جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ العَزِيْزِ الذِي أَجَازَ لِي أَنْ أُفْتِيَ فِي الفِقْهِ. وَفِي الفَلْسَفَةِ تَأَثَّرْتُ كَثِيْرًا بِابْنِ بَاجَةَ، وَكُنْتُ صَدِيْقًا لِابْنِ طُفَيْلٍ.

تَوَلَّيْتُ القَضَاءَ فِي إِشْبِيْلِيَّةَ سَنَةَ 1169م، ثُمَّ فِي قُرْطُبَةَ. وَعِنْدَمَا اسْتَقَالَ ابْنُ طُفَيْلٍ مِنَ الطِّبَابَةِ اقْتَرَحَ أَنْ أَكُوْنَ خَلِيْفَةً لَهُ فِي مَنْصِبِهِ، ثُمَّ اسْتَدْعَانِي الخلِيْفَةُ الموَحِّدِيُّ أَبُو يَعْقُوْبَ إِلى مَرَّاكُشَ وَعَيَّنَنِي طَبِيْبًا لَهُ، وَقَاضِيًا فِي قُرْطُبَةَ، كَمَا اسْتَعَانَ بِي فِي القِيَامِ بِمَهَامَّ رَسْمِيَّةٍ عَدِيْدَةٍ، مَا سَاهَمَ فِي تَنَقُّلِي فِي مُخْتَلَفِ أَنْحَاءِ المغْرِبِ.

بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي يَعْقُوْبَ زَادَتْ مَكَانَتِي فِي عَهْدِ ابْنِهِ المنْصُورِ الموَحِّدِيِّ، مَا دَفَعَ بَعْضَ المعَارِضِيْنَ وَعُلَمَاءِ الأَنْدَلُسِ إِلى الكَيْدِ لِي، وَاتِّهَامِي بِالإِلحَادِ وَالكُفْرِ، وَأَمَرَ الأَمِيْرُ بِنَفْيِي إِلى قَرْيَةِ اليُسَّانَةِ، وَأَحْرَقَ كُتُبِي وَأَصْدَرَ مَرْسُومًا يَنْهَى المسْلِمِيْنَ عَنْ قِرَاءَةِ أَيٍّ مِنْ كُتُبِ الفَلْسَفَةِ أَوِ الاهْتِمَامِ بِهَا. وَبَعْدَ تَأَكُّدِ الأَمِيْرِ مِنْ بُطْلانِ الأَكَاذِيْبِ اسْتَدْعَانِي، وَعَفَا عَنِّي، وَجَعَلَنِي وَاحِدًا مِنْ أَكْبَرِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ.

أَرَى أَنَّ مَعْرِفَةَ الحقِيْقَةِ نَوْعَانِ: النَّوْعُ الأَوَّلُ يَسْتَنِدُ إِلى الدِّيْنِ المعْتَمِدِ عَلى العَقِيْدَةِ التِي لَا يُمْكِنُ إِخْضَاعُهَا لِلتَّدْقِيْقِ وَالتَّمْحِيْصِ، وَالثَّانِي يَسْتَنِدُ إِلى الفَلْسَفَةِ. انْطَلَقَتْ آرَائِي الأَخْلاقِيَّةُ مِنْ مَذْهَبَيْ أَفْلاطُوْنَ وَأَرِسْطُو، كَمَا أَتَّفِقُ مَعَ أَفْلاطُونَ فِي الفَضَائِلِ الأَرْبَعِ الأَسَاسِيَّةِ: العَدَالَةِ، وَالحكْمَةِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالعِفَّةِ.

لِي العَدِيْدُ مِنَ المؤَلَّفَاتِ فِي أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ؛ وَهِيَ: الفَلْسَفَةُ، وَالطِّبُّ، وَالفِقْهُ، وَالأَدَبُ اللُّغَوِيُّ، كَمَا انْفَرَدْتُ بِشَرْحِ التُّرَاثِ الأَرِسْطِي.

وَمِنْ أَهَمِّ كُتُبِي: أَرِسْطُو، وَتَهَافُتُ التَّهَافُتِ، وَشَرْحُ أُرْجُوْزَةِ ابْنِ سِيْنَا، وَجَوَامِعُ سِيَاسَةِ أَفْلاطُوْنَ، وَبِدَايَةُ المجْتَهِدِ وَنِهَايَةُ المقْتَصِدِ، وَالكَشْفُ عَنْ مَنَاهِجِ الأَدِلَّةِ فِي عَقَائِدِ المِلَّةِ.

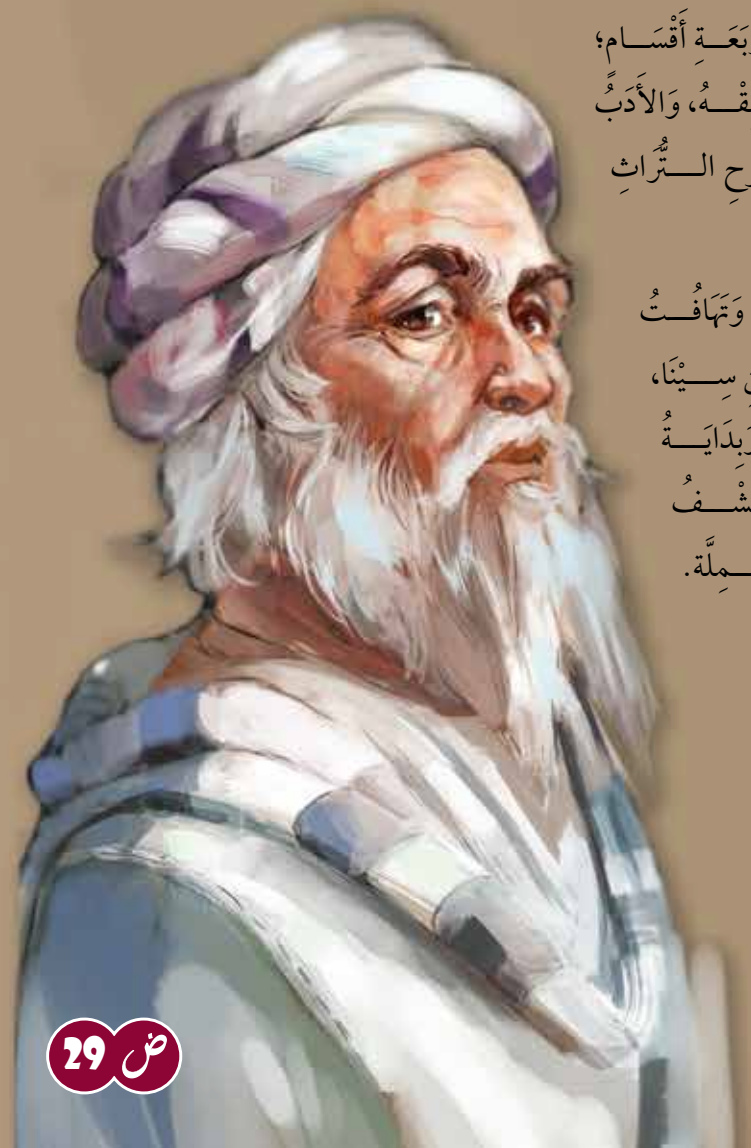

أَبُو الوَلِيْدِ أَحَدُ كِبَارِ الفَلاسِفَةِ فِي الحضَارَةِ الإِسْلامِيَّةِ